النوم الروحي

بمناسبة وبدون مناسبة يهرع الأقباط لزيارة الأديرة . ويذهب البسطاء بمتاع لا يزيد عن كتاب مقدس وأجبية وأبصلموديه وبعض الضروريات . أما الناس الواعية فيعدون أنفسهم تمام الإعداد للرحلة ، فمن أطنان من الطعام والمقليات والمعلبات والمشروبات، إلى أكياس اللب والحمص والترمس، إلى أجهزة الراديو والتسجيل وأدوات التسلية .. ولم لا ؟! أليست رحلة .

وسرعان ما يصدح جو الأتوبيس بالأهازيج والأغاني مختلطة بصوت القداس المذاع على الهواء ، أعني هواء الأتوبيس . وما الداعي للتنكيد على الناس بالتراتيل والمواعظ ، فجو الرحلة ينبغي أن يكون مشبعاً بالبهجة والفرح .. الروحي طبعا !!

وتصل الناس الواعية إلى الدير ، فينقضون مسرعين على راهب طيب ، وتنهمر الأسئلة "اترهبنت ليه يا أبونا ؟" وينظر الراهب اليهم في وداعة وعيناه تكاد تقول "وما شأنكم أنتم ؟ "

وسرعان ما ينقلب هدوء الدير إلى ضجة ، ونظافته إلى فوضى ، وتتحول الممرات الساكنة إلى ما يشبه ميدان رمسيس وقت الذروة . بل أني ذات مرة رأيت أسرة قبطية اصطحبت كلبها المدلل إلى الدير لنوال البركة ، وهو – أعني الكلب – مع المجاملة وحش من نوع "الوولف" في حجم فيل صغير !!

ويجلس الناس للشاي والطعام دون مراعاة لصوم أو غيره ، فهم على سفر . ثم الدردشة الطويلة حول قراطيس اللب ، والمزاح الممتع على أنغام الألحان المنبعثة من أجهزة التسجيل الزاعقة ..

وأخيراً النوم العميق ، وعبثاً تدق أجراس الدير داعية إلى التسبحة ، فما يستيقظ إلا قلائل ، سرعان ما يستأنف أغلبهم النوم .. الروحي طبعا !!

يعترض البسطاء بأن زيارة الدير فرصة للخلوة ونوال دفعة للتوبة وبداية الحياة الروحية بجدية ، ولكن نم نجيب على هؤلاء ؟! .. ناس مش واعية !!